الفرق بين بلاد الكفر و بلاد الإسلام

و معنى إظهار الدين

للشيخ العلامة حمد بن علي بن عتيق

النجدي الحنبلي رحمه اللّٰه تعالى

1227هـ - 1301هـ

ترجمة الشيخ حمد بن عتيق رحمه اللّه تعالى

هو العلامة الفاضل المحقق الشيخ حمد بن علي بن محمد بن عتيق بن راشد ابن حميضة واشتهر بابن عتيق نسبة إلى جده الثاني عتيق، وكذلك ذريته إنما يعرفون بآل عتيق.

ولد هذا العالم المحقق في بلدة الزلفي من بلدان نجد سنة ألف ومائتين وسبع وعشرين من الهجرة1227 هـ ، وقرأ القرآن حتى حفظه، ثم بعد ذلك سمت همته وتاقت نفسه إلى طلب العلم الشريف، فسافر من بلدة الزلفي في سبيل هذه المهمة، فقدم الرياض سنة ألف ومائتين وثلاث وخمسين من الهجرة، وذلك في زمن الإمام فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، فمكث بها تسع سنين يقرأ فيها على الشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وكان حريصا مجتهداً، فرغ نفسه من جميع المشاغل وأقبل على العلم برغبة شديدة فتخرج على الشيخ عبد الرحمن بن حسن المذكور، فمهر في علم الفقه والعقائد وأصول الدين والتوحيد.

وولاه الإمام فيصل قضاء الخرج ثم الحلوة ثم نقل منها إلى قضاء الأفلاج. واستقر بها وجلس لطلاب العلم، يقرءون عليه فتخرج به خلائق لا يحصون كثرة، من أجلهم علامة نجد وزعيمها الديني الشيخ عبد الله ابن الشيخ عبد اللطيف، رحل إليه في بلدة الأفلاج عام 1294هـ. وقرأ عليه مدة سنتين. وقرأ ابنه العلامة الجليل الشيخ سعد بن حمد بن عتيق العالم المشهور. وابنه الشيخ عبد العزيز بن حمد بن عتيق.

وقد ألف الشيخ المترجم له حمد بن عتيق مؤلفات كثيرة مفيدة منها :

- " إبطال التنديد شرح كتاب التوحيد" – و رسالة "الدفاع عن أهل السنة والإتباع"
- و رسالة "بيان النجاة والفكاك من موالاة المرتدين و الأتراك ".
- و رسالة كتبها لصديق بن حسن خان ملك بهوبال، ينبهه فيها على أخطاء وقعت في تفسيره.

وله غير ذلك رسائل كثيرة، تبلغ مجلدا طبعت مفرقة ضمن رسائل أئمة الدعوة المسماة "بالرسائل والمسائل النجدية".

وقد كان معروفا بقوة الإيمان وصلابة الدين ونشر الدعوة، توفي سنة 1301هـ ألف وثلاثمائة وسنة من الهجرة في بلدة الأفلاج –رحمه الله-. وخلف أبناء هم الشيخ سعد بن عتيق، والشيخ عبد العزيز، والشيخ عبد اللطيف، والشيخ عبد الله، وغيرهم من أبنائه وكلهم انتقلوا إلى رحمة الله، وله اليوم أحفاد، يقطنون بلدة الأفلاج، رحم الله الشيخ حمد بن عتيق، وغفر له وأسكنه فسيح جناته، وصلى الله على محمد وصحبه وسلم.

قال الشيخ العلامة حمد بن عتيق رحمه الله تعالى لمن ناظره في أهل مكة:

{سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا الاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [سورة البقرة آية : 32]

جرت المذاكرة **في كون مكة بلد كفر، أم بلد إسلام**; فنقول وبالله التوفيق: قد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالتوحيد الذي هو دين جميع الرسل، وحقيقته هو مضمون شهادة أن لا إله إلا الله، وهو أن يكون الله معبود الخلائق فلا يتعبدون لغيره بنوع من أنواع العبادة; ومخ العبادة هو الدعاء، ومنها الخوف والرجاء، والتوكل والإنابة، والفزع، والصلاة، وأنواع العبادة كثير، وهذا الأصل العظيم، الذي هو شرط في صحة كل عمل.

والأصل الثاني: هو طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في أمره، وتحكيمه في دقيق الأمور وجليلها، وتعظيم شرعه ودينه، والإذعان لأحكامه في أصول الدين وفروعه.

فالأول: ينافي الشرك، ولا يصح مع وجوده.

والثاني: ينافي البدع، ولا يستقيم مع حدوثها.

فإذا تحقق وجود هذين الأصلين، علما وعملا ودعوة، وكان هذا دين أهل البلد، أي بلد كان، بأن عملوا به، ودعوا إليه، وكانوا أولياء لمن دان به، ومُعادين لمن خالفه، فهم موحدون.

وأما إذا كان الشرك فاشيا، مثل دعاء الكعبة والمقام والحطيم، ودعاء الأنبياء والصالحين، وإفشاء توابع الشرك، مثل الزنى والربا، وأنواع الظلم، ونبذت السنة وراء الظهر، وفشت البدع والضلالات، **وصار التحاكم إلى الأئمة الظلمة، ونواب المشركين**، وصارت الدعوة إلى غير القرآن والسنة، وصار هذا معلوما في أي بلد كان، **فلا يشك من له أدنى علم: أن هذه البلاد، محكوم عليها بأنها بلاد كفر وشرك**; لا سيما إذا كانوا معادين لأهل التوحيد، وساعين في إزالة دينهم، ومعينين في تخريب بلاد الإسلام; وإذا أردت إقامة الدليل على ذلك، وجدت القرآن كله فيه، وقد أجمع عليه العلماء، فهو معلوم بالضرورة عند كل عالم.

وأما قول القائل: ما ذكرتم من الشرك، إنما هو من أفقية لا من أهل البلد; فيقال: أوّلاً: هذه إما مكابرة، أو عدم علم بالواقع، فمن المقرر: أن أهل الآفاق تبع لأهل تلك البلاد، في دعاء الكعبة والمقام والحطيم، كما يسمعه كل سامع، ويعرفه كل موحد. ويقال ثانيا: إذا تقرر، وصار هذا معلوما، فذلك كاف في المسألة، ومن الذي فرق في ذلك؟!

فيالله العجب، **إذا كنتم تخفون توحيدكم في بلادهم، ولا تقدرون أن تصرحوا بدينكم**، وتخافتون بصلاتكم، لأنكم علمتم عداوتهم لهذا الدين، وبغضهم لمن دان به، فكيف يقع لعاقل إشكال؟

أرأيتم لو قال رجل منكم لمن يدعو الكعبة، أو المقام، أو الحطيم، أو يدعو الرسول، أو الصحابة: **يا هذا لا تدع غير الله! أو أنت مشرك، هل تراهم يسامحونه؟ أم يكيدونه؟** فليعلم المجادل أنهم ليسوا على توحيد الله; **فوالله ما عرف التوحيد**، ولا تحقق بدين الرسول صلى الله عليه وسلم.

أرأيت لو أن رجلا عندهم، وقال: يا هؤلاء راجعوا دينكم، واهدموا البنايات التي على القبور، ولا يحل دعاء غير الله، **هل يكفيهم فيه فعل قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم؟ لا والله لا والله.**

وإذا كانت الدار دار إسلام، لأي شيء لم تدعوهم إلى الإسلام؟ وتأمروهم بهدم القباب، واجتناب الشرك وتوابعه؟ **فإن يكن قد غركم أنهم يصلون، أو يحجون**، فتأملوا الأمر من أوله; وهو: أن التوحيد قد تقرر في مكة، بدعوة إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليهما السلام، ومكث أهل مكة عليه مدة من الزمان، ثم إنه فشا فيهم الشرك، بسبب عمرو بن لحي، فصاروا مشركين، وصارت البلاد بلاد شرك، **مع أنه قد بقي معهم أشياء من الدين، كما كانوا يحجون، ويتصدقون على الحاج.**

وقد بلغكم شعر عبد المطلب، الذي أخلص فيه في قصة الفيل، وغير ذلك من البقايا، ولم يمنع ذلك الزمان من تكفيرهم وعداوتهم، بل الظاهر عندنا وعند غيرنا: **أن شركهم اليوم أعظم من ذلك الزمان**، بل قبل هذا كله، أنه مكث أهل الأرض عشرة قرون على التوحيد، حتى حدث فيهم الغلو في الصالحين، فدعوهم مع الله فكفروا، فبعث الله إليهم نوحا عليه السلام، يدعوهم إلى التوحيد; فتأمل ما قص الله عنهم; وكذلك ما ذكر الله عن هود: أنه دعاهم إلى إخلاص العبادة لله، لأنهم لم ينازعوه في أصل العبادة، وكذلك إبراهيم، دعا قومه إلى إخلاص التوحيد; وإلا فقد أقروا لله بالإلهية.

وجماع الأمر: أنه إذا ظهر في بلد دعاء غير الله وتوابع ذلك، واستمر أهلها عليه، وقاتلوا عليه، وتقررت عندهم عداوة أهل التوحيد، وأبوا عن الانقياد للدين، فكيف لا يحكم عليها بأنها بلد كفر؟ ولو كانوا لا ينتسبون لأهل الكفر، وأنهم منهم بريئون; من أهل مكة أو غيرهم، مع مسبتهم لأهل التوحيد، وتخطيئتهم لمن دان به، والحكم عليهم بأنهم خوارج أو كفار، فكيف إذا كانت هذه الأشياء كلها موجودة؟ فهذه مسألة عامة.

وأما القضايا الجزئية، فنقول: قد دل القرآن والسنّة، على أن المسلم إذا حصلت منه موالاة أهل الشرك، والانقياد لهم، ارتد بذلك عن دينه، تأمل قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ

بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ} [سورة محمد آية : 25] مع قوله: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ } [سورة المائدة آية : 51] وأمعن النظر في قوله تعالى: {فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ } [سورة النساء آية : 140] وأدلته كثيرة.

ولا تنس ما ذكر الله، في سورة التوبة{لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} [سورة التوبة آية : 66] وقوله: {وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ } [سورة التوبة آية : 74] واذكر قوله: {وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [سورة آل عمران آية : 80]. وتأمل قوله تعالى: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} [سورة الحج آية : 72] وقد علمت حالهم، إذا دعوا إلى التوحيد، انقهروا، والله أعلم.

وقال أيضا رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

من حمد بن عتيق إلى الأخ المكرم، الشيخ عبد الله بن حسين المخضوب، وفقني الله وإياه للعلم والعمل، بالسنة والكتاب، وأزال عنا وعنه الحجب والارتياب، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وما ذكرت من فقد الإخوان، فهو وصمة على الدين والإيمان، ويدل على أن ما أخبر به الصادق قد آن؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، وإنما يقبض العلم بقبض العلماء؛ حتى إذا لم يبق عالما، اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا" ، وقال صلى الله عليه وسلم "لا تقوم الساعة حتى يرفع العلم، ويوضع الجهل" ، في أحاديث كثيرة في هذا المعنى، وقد أخبر به الصادق المصدوق.

وبعد ذلك قد بلغني عنك ما أساءني، وعسى أن يكون كذبا، **وهو أنك تنكر على من اشترى من أموال أهل الأحساء التي تؤخذ منهم قهرا**، فإن كان صدقا، فلا أدري ما الذي عرض لك؟ **والذي عندنا: أنه لا ينكر مثل هذا، إلا من يعتقد معتقد أهل الضلال القائلين: إن من قال: لا إله إلا الله، لا يكفر، وأن ما عليه أكثر الخلق من فعل الشرك وتوابعه، والرضى بذلك وعدم إنكاره، لا يخرج من الإسلام.**

وبذلك عارضوا الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله، في أصل هذه الدعوة؛ **ومن له مشاركة فيما قرره المحققون، قد اطلع على أن البلد، إذا ظهر فيها الشرك، وأعلنت فيها المحرمات، وعطلت فيها معالم الدين، تكون بلاد كفر، تغنم أموال أهلها، وتستباح دماؤهم.**

وقد زاد أهل هذا البلد، في إظهار المسبة له ولدينه، **ووضعوا قوانين ينفذونها في الرعية، مخالفة لكتاب الله وسنة نبيه؛ وقد علمت أن هذه كافية وحدها، في إخراج من أتى بها من الإسلام;** هذا ونحن نقول: قد يوجد فيها من لا يحكم بكفره في الباطن، من مستضعف ونحوه، وأما في الظاهر فالأمر – ولله الحمد – واضح.

ويكفيك ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم في مكة، مع أن فيهم مستضعفين، وكذلك ما فعله أصحابه بكثير ممن ارتد عن الإسلام، من استباحة الدم والمال والسبي؛ وكل عاقل وعالم يعلم أن ما أتى به هؤلاء، من الكفر والردة، أقبح وأفحش، وأكثر مما فعله أولئك؛ فارجع البصر في نصوص الكتاب والسنة، وفي سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، تجدها بيضاء نقية، لا يزيغ عنها إلا هالك؛ تحر فيما ذكر العلماء، وارغب إلى الله في هداية القلب، وإزالة الشبهة، وما كنت أظن أن هذا يصدر من مثلك.

ولا تغتر بما عليه الجهال، وما يقوله أهل الشبهات.فإنه قد بلغني أن بعض الناس يقول: إن في الأحساء من هو **مظهر دينه، لأنه لا يرد عن المساجد والصلاة، وأن هذا عندهم هو إظهار الدين، وهذه زلة فاحشة،** غايتها: **أن أهل بغداد وأهل بنبي وأهل مصر، قد أظهر من هو عندهم دينه، فإنهم لا يمنعون من صلى، ولا يردون عن المساجد.**

فيا عباد الله أين عقولكم؟ فإن النّزاع بيننا وبين هؤلاء، **ليس هو في الصلاة، وإنما هو في تقرير التوحيد والأمر به، وتقبيح الشرك والنهي عنه، والتصريح بذلك،** كما قال إمام الدعوة النجدية: أصل دين الإسلام وقاعدته أمران:

الأمر الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه.

الأمر الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله وحده لا شريك له، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله. هذا هو إظهار الدين يا عبد الله بن حسين.

تأمل أرشدك الله، مثل قوله في السورة المكية: **{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ}** [سورة الكافرون آية: 1-2]، إلى آخر السورة، فهل وصل إلى قلبك أن الله أمره أن يخاطبهم بأنهم كافرون، ويخبرهم بأنه لا يعبد ما يعبدون، أي: أنه بريء من دينهم، ويخبرهم أنهم لا يعبدون ما يعبد، أي: أنهم بريئون من التوحيد، ولهذا ختمها بقوله **{لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}** [سورة الكافرون آية: 6]، فهذا يتضمن براءته من دينهم وبراءتهم من دينه.

وتأمل قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [سورة يونس آية: 104–105]؛ فهل سمعت الله أمره أن يقول لهم: إني بريء من دينهم؟ وأنه أمره أن يكون من المؤمنين الذين هم أعداؤهم؟ ونهاه أن يكون من المشركين الذين هم أولياؤهم وحزبهم؟!

وفي القرآن آيات كثيرة مثل ما ذكر الله عن خليله إبراهيم إمام الحنفاء **{وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ}** الآيتين [سورة الممتحنة آية: 4]؛ فأمرنا الله بالتأسي بهم قولا وفعلا. والقصد تنبيهك، خوفا من الوفاة على غير طائل من الدين؛ أعاذنا الله وإياك من مضلات الفتن؛ والله أعلم، وصلى الله على محمد وصحبه وسلم.

و قال أيضا رحمه الله تعالى :

" وأما مسألة إظهار الدين ، **فإن كثيرا من الناس ، قد ظن أنه إذا قدر على أن يتلفظ بالشهادتين ، وأن يصلي الصلوات ، ولا يرد عن المساجد ، فقد أظهر دينه وإن كان مع ذلك بين المشركين ، أو في أماكن المرتدين . وقد غلطوا في ذلك أقبح الغلط .**

فاعلم أن الكفر له أنواع وأقسام تتعدد بتعدد المكفرات ، وقد تقدم بعض ذلك ، وكل طائفة من طوائف الكفر فلا بد أن يشتهر عندها نوع منه ، ولا يكون المسلم مظهرا لدينه ، حتى يخالف كل طائفة بما اشتهر عندها ، ويصرح لها بعداوته ، والبراءة منه ، فمن كان كفره بالشرك ، فإظهار الدين عنده التصريح بالتوحيد أو النهي عن الشرك والتحذير منه ، ومن كان كفره بجحد الرسالة فإظهار الدين عنده التصريح بأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والدعوة إلى اتباعه . ومن كان كفره بترك الصلاة ، فإظهار الدين عنده فعل الصلاة ، والأمر بها ، **ومن كان كفره بموالاة المشركين والدخول في طاعتهم ، فإظهار الدين عنده التصريح بعداوته ، والبراءة منه ومن المشركين .**

وبالجملة فلا يكون مظهرا لدينه ، إلا من صرح لمن ساكنه من كل كافر ببراءته منه ، وأظهر له عداوته لهذا الشيء الذي صار به كافرا وبراءته منه ، ولهذا قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم : **عاب ديننا وسفّه أحلامنا ، وشتم آلهتنا .**

وقال الله تعالى : { قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين . وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا

تكونن من المشركين . ولا تدعوا من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين } .

فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم : { يا أيها الناس } إلى آخره ، أي : إذا شككتم في الدين الذي أنا عليه ، **فدينكم الذي أنتم عليه أنا برئ منه** ، وقد أمرني ربي أن أكون من المؤمنين الذين هم أعداؤكم ، ونهاني أن أكون من المشركين الذين هم أولياؤكم .

وقال تعالى:{ قل يا أيها الكافرون .لا أعبد ما تعبدون .ولا أنتم عابدون ما أعبد} إلى آخر السورة .

فأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للكفار : **دينكم الذي انتم عليه ، أنا برئ منه** ، وديني الذي أنا عليه أنتم برآء منه . **والمراد : التصريح لهم بأنهم على الكفر ، وأنه برئ منهم ومن دينهم .**

فمن كان متبعا للنبي صلى الله عليه وسلم ، فعليه أن يقول ذلك ، ولا يكون مظهرا لدينه إلا بذلك ، ولهذا لما عمل الصحابة بذلك ، وآذاهم المشركون ، أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى الحبشة ، **ولو وجد لهم رخصة في السكوت عن المشركين ، لما أمرهم بذلك إلى بلد الغربة .**

وفي السيرة : أن خالد بن الوليد ، لما وصل إلى العرض في مسيره إلى أهل اليمامة ، لما ارتدوا قدم مائتي فارس ، وقال : من أصبتم من الناس فخذوه . فأخذوا مجاعة ، في ثلاثة وعشرين رجلا من قومه ، فلما وصل إلى خالد ، قال له : يا خالد ، لقد علمت أني قدمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبايعته على الإسلام ، وأنا اليوم على ما كنت عليه أمس . فإن يك كذابا قد خرج فينا فإن الله يقول : { ولا تزو وازرة وزر أخرى } فقال : يا مجاعة ، تركت اليوم ما كنت عليه أمس ، وكان رضاك بأمر هذا الكذاب وسكوتك عنه وأنت أعز أهل اليمامة ، وقد بلغك مسيري إقرارا له ورضاء بما جاء به ، فهلا أبديت عذرا ، وتكلمت فيمن تكلم ! ، فقد تكلم ثمامة فرد وأنكر ، وتكلم اليشكري ، فإن قلت : أخاف قومي ، فهلا عمدت إليّ ، أو بعثت إلي رسولا ، فقال : إن رأيت يا ابن المغيرة أن تعفو عن هذا كله !! ، فقال : قد عفوت عن دمك ، ولكن في نفسي حرج من تركك ! اهـ .

وسيأتي في ذكر الهجرة ، قول أولاد الشيخ : **إن الرجل إذا كان في بلد كفر وكان يقدر على إظهار دينه عندهم ، ويتبرأ منهم ومما هم عليه ، ويظهروا لهم كفرهم وعداوته لهم ، ولا يفتنونه عن دينه لأجل عشيرته أو ماله ، فهذا لا يحكم بكفره** . إلى آخره .

والمقصود منه : أن الرجل لا يكون مظهرا لدينه حتى يتبرأ من أهل الكفر الذي هو بين أظهرهم ، ويصرح لهم : بأنهم كفار ، وأنه عدو لهم ، فإن لم يحصل ذلك لم يكن إظهار الدين حاصلا .

إلى أن قال ...وقد أخبر الله بذلك **عن جميع الكفار** ، فقال تعالى : { **وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين . ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد** } وقال تعالى إخبارا عن قوم شعيب : { **قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين** } .

وقال تعالى إخبارا عن أصحاب الكهف : { **إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا** } وقوله : { يرجموكم } أي : **يقتلوكم بالرجم** .

وهذا الذي أخبر الله به وأشار إليه أئمة الإسلام هو الواقع في هذه الأزمان ، فإن المرتدين بسبب موالاة المشركين والدخول في طاعتهم ، لا يرضون إلا بمن وافقهم على ذلك ، وإذا أنكر عليهم منكر آذوه أشد الأذى ، وأخرجوه من بين أظهرهم ، بل سعوا في قتله إن وجدوا إلى ذلك سبيلا .

نصيحة جامعة

فيمن ترك الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر إرضاء للناس

قال رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

من حمد بن عتيق: إلى من بلغه من المسلمين، ألزمهم الله شرائع الدين، وجنبهم طريق الكفار والمنافقين آمين؛ سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فالموجب للخط هو النصيحة لكم، والمعذرة من الله في إبلاغكم، فإن الله تعالى يقول: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ} [سورة البقرة آية: 159]، وقال تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [سورة المائدة آية: 78-79].

وقد سمعتم فيما يتلى عليكم من حلول العقوبات، عند ظهور المنكرات، ولكن قد فتح الشيطان لكثير من الناس أبواباً من الشر، في إسقاط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وألقاها على أناس فيهم شبهة دين، حتى اعتقدوها أعذاراً لهم، وإنما هي من زخارف الشياطين **ولكن إذا تبين أن الزاني والسارق وشارب الخمر، أحسن حالاً عند الله من هؤلاء الجنس، فهذا كاف في شناعة مذهبهم وسوء منقلبهم، فنسأل الله العفو والعافية.**

ومما ينبغي أن يعلم: أن العقل على ثلاثة أنواع: عقل غريزي، وعقل إيماني مستفاد من مشكاة النبوة، **وعقل نفاقي شيطاني، يظن أربابه أنهم على شيء؛ وهذا العقل هو حظ كثير من الناس بل أكثرهم، وهو عين الهلاك، وثمرة النفاق. فإن أربابه يرون أن العقل إرضاء الناس جميعهم، وعدم مخالفتهم في أغراضهم وشهواتهم، واستجلاب مودتهم**، ويقولون: صلح نفسك بالدخول مع الناس، ولا تبغض نفسك عندهم؛ وهذا هو إفساد النفس، وهلاكها من أربعة أمور:

أحدها: أن فاعل ذلك قد التمس رضى الناس بسخط الله، وصار الخل في نفسه أجل من الله؛ ومن التمس رضى الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس؛ **فقد جاء أن الله تعالى يقول: "إذا غضبت لعنت، ولعنتي تبلغ السابع من الولد"**. فإذا ترك القادر المعروف فلم يأمر به، والمنكر فلم ينه عنه، فقد تسبب أن الله يلعنه لعنة تبلغ السابع من ولده، ومصداق ذلك قوله تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا

وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} [سورة المائدة آية: 78]. فقد ظهر أن هذا المداهن قد أفسد نفسه من حيث يظن أنه يصلحها.

الثاني: أن المداهن لا بد أن يفتح الله له باباً من الذل والهوان من حيث طلب العز; وقد قال بعض السلف: من ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، مخافة المخلوقين، نزعت منه الطاعة؛ فلو أمر ولده أو بعض مواليه لاستخف بحقه، فكما هان عليه أمر الله، أهانه الله وأذله، {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ} [سورة التوبة آية: 67].

الثالث: أنها إذا نزلت العقوبات، فالمداهن داخل فيها، كما في قوله تعالى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} [سورة الأنفال آية: 25]، وفي المسند والسنن عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود قال: قال صلى الله عليه وسلم: "إن من كان قبلكم إذا عمل العامل بالخطيئة، جاءه الناهي تعذيراً إليه، فإذا كان الغد جالسه، وواكله وشاربه، كأنه لم يره على خطيئة بالأمس. فلما رأى الله ذلك منهم، ضرب بقلوب بعضهم على بعض، ثم لعنهم {عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ}.

والذي نفس محمد بيده، لتأمرنّ بالمعروف، ولتنهونّ عن المنكر، ولتأخذنّ على يد السفيه، ولتأطرنّه على الحق أطراً، أو ليضربنّ الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعنكم كما لعنهم".

وذكر ابن أبي الدنيا عن وهب بن منبه قال: "لما أصاب داود الخطيئة، قال: يا رب اغفر لي، قال: قد غفرتها لك، وألزمت عارها بني إسرائيل، قال: لِم يا رب؟ كيف –وأنت الحكم العدل لا تظلم أحداً – أنا أعمل الخطيئة، وتلزم عارها غيري؟! فأوحى الله إليه: **أنك لما عملت لم يعيبوا عليك بالإنكار**".

وذكر ابن أبي الدنيا: "أن الله أوحى إلى يوشع بن نون، إني مهلك من قومك **أربعين ألفاً من خيارهم**، وستين ألفاً من شرارهم، قال: يا رب، هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟ قال: **إنهم لم يغضبوا لغضبي، وكانوا يواكلونهم ويشاربونهم**". وذكر ابن عبد البر وغيره: "أن الله تعالى أمر ملكاً من الملائكة أن يخسف بقرية، فقال: يا رب، إن **فيهم فلاناً الزاهد العابد**، قال: **به فابدأ، وأسمعني صوته، إنه لم يتمعر وجهه فيّ يوماً قط**". فالنجاة عند نزول العقوبات، هي لأهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال تعالى: {**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ**} الآية [سورة الأعراف آية: 165].

الرابع: أن المداهن، **الطالب رضى الخلق، أخبث حالاً من الزاني والسارق والشارب**؛ قال ابن القيم، رحمه الله تعالى: وليس الدين بمجرد ترك المحرمات الظاهرة، بل بالقيام مع ذلك بالأمور

المحبوبة لله، وأكثر الدينين لا يعبؤون منها، إلا بما شاركهم فيه عموم الناس، وأما الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة لله ورسوله وعباده، ونصرة الله ورسوله وكتابه ودينه، فهذه الواجبات لا يخطرن ببالهم، فضلاً عن أن يريدوا فعلها، فضلاً عن أن يفعلوها. وأقل الناس ديناً، وأمقتهم إلى الله، من ترك هذه الواجبات،وإن زهد في الدنيا جميعها. **وقل أن يرى منهم من يحمر وجهه، ويتمعر في الله، ويغضب لحرماته، ويبذل عرضه في نصرة دينه؛ وأصحاب الكبائر أحسن حالاً عند الله من هؤلاء.** انتهى.

فلو قدر أن رجلاً يصوم النهار، ويقوم الليل، ويزهد في الدنيا كلها، وهو مع ذلك لا يغضب، ولا يتمعر وجهه ويحمر لله، فلا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، فهذا الرجل من أبغض الناس عند الله، وأقلهم ديناً؛ وأصحاب الكبائر أحسن حالا عند الله منه.

وقد حدثني من لا أتهم، عن شيخ الإسلام، إمام الدعوة النجدية، أنه قال مرة: أرى ناساً يجلسون في المسجد على مصاحفهم، **يقرؤون ويبكون، فإذا رأوا المعروف لم يأمروا به، وإذا رأوا المنكر لم ينهوا عنه**، وأرى أناساً يعكفون عندهم، يقولون: **هؤلاء لحى غوانم، وأنا أقول: إنهم لحى فوائن**، فقال السامع: أنا لا أقدر أقول إنهم لحى فوائن، **فقال الشيخ: أنا أقول: إنهم من العمي البكم.**

ويشهد لهذا: ما جاء عن بعض السلف، **أن الساكت عن الحق شيطان أخرس، والمتكلم بالباطل شيطان ناطق؛** فلو علم المداهن الساكت، أنه من أبغض الخلق عند الله، وإن كان يرى أنه طيب، لتكلم وصدع. ولو علم طالب رضى الخلق، بترك الإنكار عليهم، أن أصحاب الكبائر أحسن حالاً عند الله منه، وإن كان عند نفسه صاحب دين، لتاب من مداهنته ونزع. ولو تحقق من يبخل بلسانه عن الصدع بأمر الله أنه شيطان أخرس، **وإن كان صائما قائماً زاهداً**، لما ابتاع مشابهة الشيطان بأدنى الطمع.

اللهم إنا نعوذ بك من كل عمل يغضب الرحمن، ومن كل سجية تقربنا من التشبه بالشيطان، أو نداهن في ديننا أهل الشبهات والنفاق والكفران. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

نظم أسباب حياة القلوب
للشيخ العلامة حمد بن علي بن عتيق رحمه اللّه تعالى

حمدتُ الذي أغنى وأقْنـــى وعَلَّمــا   وصيَّر شـكرَ العبـدِ للخيـرِ سُــلَّما

وأُهدي صلاةً تستمر على الرِّضـا   وأصـــحابه والآلِ جمعـــاً مُسَـــلِّما

كما دلَّنا في الوحي والسننِ التـــي   أتانا بهـــا نحــوَ الرَّشـــادِ وعَلَّمــا

أزالَ بها الأغلافَ عن قلبِ حــائرٍ   وفـــتَّحَ آذانـــاً أُصـــمَّتْ وأَحْكَمَـــا

فيا أيها البـــاغي اســتنارةَ قلبِــهِ   تدَّبرْ كلا الــوحيين وانقــدْ وسَــلِّما

فعنوان إسعادِ الفتى فـــي حياتِــهِ   مـــعَ اللهِ إقبـــالاً عليـــه مُعَظِّمـــا

وفاقدُ ذا لا شكَّ قــدْ مـــاتَ قلبُــه   أوِ اعتلّ بالأمراضِ كالرَّينِ والعَمَــى

وآية سُقمٍ فـــي الجـــوارحِ منعهــا   منافعهـــا أوْ نقـــصُ ذلـــكَ مثلمـــا

وصحتها تُـــدرَى بإتيـــانِ نَفْعِهَــا   كنطقٍ وبطشٍ والتصــرف والنمــا

وعينُ امتراضِ القلب فَقْدُ الذي له   أُرِيدَ من الإخلاصِ والحُــبِّ فاعْلَمــا

ومعرفـــةُ الشـــوق إليـــه إنابـــة   بإيثـــارِ ذا دونَ المحبـــاتِ فاحْكُمَـــا

ومؤثرُ محبوبٍ ســوى اللهِ قلبُــه مريضٌ على جرف من الموتِ والعَمَى

وأعظم محذورٍ خَفَى مــوتُ قلبــه عليه تَشــغَّل عــن دواه بضــدٍّ مــا

وآيــة ذا هــونُ القبــائحِ عنــدَه ولــولاه أضْــحى نادمــاً متألمــاً

فجامعُ أمراضِ القلــوبِ إتباعُهــا هواهــا فخالِفْهــا تصــحّ وتسْــلَمَا

ومن شؤمهِ تركُ اغتــذاءٍ بنــافعٍ وترك الدوا الشافي وعجز كلاهمــا

إذا صحَّ قلبُ العبدِ بــانَ ارتحالُــه إلى دارهِ الأخــرى فــراحَ مُسَــلِّما

ومِنْ ذاك إحساسُ المحــبِّ لقلبــهِ بضربٍ وتحريــكٍ إلــى اللهِ دائمــا

إلــى أن يُهنَّــا بالإنابــةِ مُخبتــاً فيســكن فــي ذا مطمئنــا منعَّمــا

وفيها دوامُ الذكرِ في كــلِّ حالــةٍ يَرَى الأنــسَ بالطاعــاتِ لله مغْنمــا

ويصحبُ حراً دلَّــه فــي طريقِــهِ وكــانَ مُعينــاً ناصــحاً متيمّمــا

ومنها إذا ما فاتَــه الــوِرْدُ مــرةً تَــــرَاهُ كئيبــاً نادمــاً متألمــاً

ومنها اشتياقُ القلب في وقتِ خدمةٍ إليها كمُشْتَّدٍ بــه الجــوعُ والظَّمــا

ومنها ذهابُ الهَمِّ وقـت صـلاتهِ بـدنياه مرتاحـاً بهـا مُتَنَعِمَـا

ويَشْـتَّد عنهـا بُعـدَه وخروجـه وقد زالَ عنه الهم والغـم فاسـتما

فـأكْرِم بـه قلبـاً سـليماً مقرّبـا إلى اللهِ قد أضْـحى محُبِّـا متيَّمـا

ومنها اجتماعُ الهـمِ منـه بربِّـه بمرضاتهِ يسـعى سـريعاً مُعظِّمـا

ومنهـا مراعـاة وشُـحّ بوقتـه كما شَحَّ ذو المال البخيـلِ مُصَـمِّما

ومنها اهتمام يُثمرُ الحِرصَ رغبةً بتصـحيحِ أعمـالٍ يكـونُ متممـا

بإخلاص قصدٍ والنصيحةِ محسـناً وتقييـده بالإتبـاعِ ملازمـا

ويَشـهدُ مَـعْ ذا مِنَّـةَ اللهِ عنـدَه وتقصيره في حـقِّ مـولاه دائمـا

فستٌ بها القلب السـليم ارتـداؤه وينجو بها من آفةِ الموتِ والعمـى

فيـاربِّ وفقنـا إلـى مـا نقولـه فما زلتَ يا ذا الطَّوْل بـرَّاً ومُنْعِمـا

فـإني وإنْ بَلَّغـتُ قـولَ محقـقٍ أُقرُّ بتقصيري وجهلـي لعلـم مـا

ولمَّا أتى مثلي إلى الجـوِّ خاليــاً من العلــمِ أضْــحى مُعْلنــاً مُتكلِّمــا

كغابٍ خلا مِــنْ أُســدِهِ فتواثبــت ثعالبُ ما كانتْ تطا في فِنَا الحِمَــى

فيا سامع النَّجوى ويا عالم الخفــا سَــألتُكَ غُفْرَانــاً يكــونُ معمَّمــا

فما جرَّنــي إلا اضــطرارٌ رأيتــه تَخوَّفت كــوني إنْ توقفــتُ كاتمــا

فأبْديْتُ من جرَّاه مزجا بضــاعتي وأمَّلْتُ عفواً مِــنْ إلهــي ومَرْحمــا

فما خَــابَ عبــدٌ يســتجير بربِّــه ألحَّ وأمْسَى طــاهر القلــب مُسْــلِما

وصــــلَّوا علـــى خيـــر الأنـــام كذا الآل والأصحاب ما دامت السما